

التعريف بالأرشيف الفرنسي المتعلق بالتاريخ الصحي للجزائر

أ.ة يمينة مجاهد

جامعة وهران 1-أحمد بن بلة

تعد الوثائق الأرشيفية من المصادر الرئيسية في الدراسات التاريخية المعاصرة بحيث لا يمكن البث في أي قضية من القضايا المدروسة، إلا بظهور الحجة الدامغة المتمثلة في الوثيقة الأرشيفية.

إن ما يميز تاريخ الجزائر المعاصر هو أحداث الثورات والمقاومات الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، فبعد أن ثبت الاحتلال أقدامه في العاصمة وعلى السواحل الجزائرية والمدن القريبة منها أصدرت حكومة الجمهورية الفرنسية الثانية قرارا في شهر مارس 1848، ينص على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي، فاتجهت نحو المناطق الداخلية والنائية من البلاد لضمها لها، فاصطدمت بكفاح مستميت ونضال شعبي عنيف.

إن أرشيف الحقبة المتصلة بالاستعمار الفرنسي للجزائر وثورة التحرير الوطني تسميه فرنسا "بالأرشيف الوطني" للدلالة على ملكها له، لاعتقاد الذي لا يزال راسخا بأذهان الفرنسيين بأن الجزائر فرنسية.

خصص لها الأرشيف مساحة واسعة مقسمة إلى رفوف مليئة بالمجلدات والعلب الأرشيفية، مرتبة ومنظمة بطريقة دقيقة، وهذا ما يدل على اهتمام الفرنسيين بالأرشيف الخاص بالجزائر.

مجلدات ضخمة تعود إلى الحقبة الكولونيلية الأولى خصوصا ما تعلق بالمقاومات الشعبية (الأمير عبد القادر، الحداد والمقراني،.....).

المراسلات المتبادلة من ضباط الجيش الفرنسي وقادة المقاومات، هذه الوثائق موجودة بمركزين:

الأول: بقلب باريس (Paris).

والثاني: بمقاطعة أكس أون بروفانس (Aix En-Provence) وهذا الأرشيف الذي يحتوي على الأرشيف الأكثر أهمية.

أرشيف الوزارة المكلفة بالشؤون الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1873-1894، وهي تضم قرارات تنظيم العقارات والأراضي بقسنطينة، ومراسلات الحاكم العام.

الأرشيف العسكري: يتضمن قرارات ضباط الجيش وتعاملاتهم خلال ثورة التحرير وهي موجودة بحوزة وزارة الدفاع الفرنسي يحتوي على وثائق محاطة "بسرية تامة" عكس الأرشيف العام للحقبة الاستعمارية لما قبل 1954، يمكن للجزائر الاطلاع عليه وتصوير نسخ منه لكون القانون الفرنسي يحدد ما يسميه بـ"فترات سرية" وتمتد ما بين (50-70 سنة) للإفراج عنه حيث يتضمن أمور تسمى بالحياة الشخصية للأشخاص وسمعتهم خلال تلك الفترة قد يكونون على قيد الحياة بينما ينص ذات القانون على عدم تسريح الأرشيف القضائي إلا بعد 50 سنة، والتبرير هو تفادي تصفية حسابات قديمة.

ويمكن تصنيف الوثائق الأرشيفية الخاصة بالثورات والمقاومات الجزائرية والمحفوظة بفرنسا إلى صنفين أساسيين هما:

أ-الأرشيفات العسكرية والمتمركز بأرشيف وزارة الحرب بقصر فانسان -باريس Vincennes «Paris» - .

ب-الأرشيفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمركز الأرشيف الوطني فيما وراء البحار باكس آن بروفانس Aix En-Provence.

مع الملاحظة أنه توجد أرشيفات سياسية واقتصادية واجتماعية - Vincennes «Paris»، كما توجد أرشيفات عسكرية باكس، بل هناك العديد من نفس المجموعات في المركزين معا.

أولا. أرشيف وزارة الحرب، قصر فانسان Paris Vincennes ، ويحتوي على عدة مجموعات أهمها:

- سلسلة (H) للأرشيف المركزي في الولاية العامة بالجزائر.

- سلسلة (G) التي تضم وثائق تخص التنظيمات الإدارية للجزائر من 1883 إلى 1902م.

- سلسلة (E) وتشمل المراسلات السياسية العامة للولاية العامة خلال القرن التاسع عشر.

- سلسلة (L) خاصة بعملية الاستعمار.

ثانيا. أرشيف ماوراء البحار أكس آن بروفانس (فرنسا) وهو أهم مركز للأرشيفات، لأنه يحتوي على عدة وثائق تاريخية متعلقة بتاريخ الجزائر المعاصر، ضمن سلاسل عديدة.

الأرشيف ذو الطابع الصحي:

تشكل هذه الوثائق التاريخية من معلومات خاصة بالأمراض وهي مستمدة من تقارير عسكرية ومراسلات القنصلية الفرنسية المعتمدة بالجزائر للإدارة الصحية بمرسيليا، وتحتوي على علب معتبرة من الأرشيف غير المنشورة، وقد تشكل ثروة حقيقية بالنسبة للمؤرخ المهتم بالأحوال الصحية في الجزائر، التي عانت هي الأخرى من اجتياح الأوبئة والأمراض، مما دفعها إلى اتخاذ إجراءات صارمة في الميدان الصحي، بتأسيس مجالس صحية بحرية (Conseils Sanitaires Maritimes) أو إدارات صحية (Intendances Sanitaires) مكلفة بالوقاية من الأمراض ومحاربتها، ومراقبة البواخر التجارية الآتية من المغرب والمشرق وإخضاعها للحجر الصحي، لقد شكل هذا النوع من الأرشيف، القاعدة الوثائقية الأساسية التي يركز عليها عملنا، إذ تحتوي على علب كثيرة، مصنفة حسب أنواع الأمراض والأوبئة كرونولوجيا جها متوفر على مستوى مؤسسة الأرشيف الجهوي لمرسيليا. وهي مسجلة تحت تسمية: أرشيف الإدارة الصحية بمرسيليا.

- Archives de l'Administration Sanitaire de Marseille.
- Fonds d'Intendance. (Série C).

وقد تضم تقارير صحية تشير إلى وجود الأوبئة في الموانئ الجزائرية، وتحتوي على عدة رسائل تتطرق للوضع الصحي، وصنفت هذه الوثائق تحت تسمية:

- Fonds de la Marine des Archives Nationales. Série B²/B³: Correspondance.

أرشيف المستشفيات والمؤسسات الصحية، وهي غنية بهذا النوع من الوثائق.

- Archives des Hôpitaux et Institutions Sanitaires.
- Bureau de Santé de Marseille: Série 200 E.
- Police Sanitaire: Série F⁸.

الأرشيف ذو الطابع الدبلوماسي:

يتشكل من المراسلات الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية (Correspondance Diplomatiques et Consulaires Françaises) وتحتوي على معلومات هامة حول الأمراض والأفات الطبيعية التي اجتاحت الجزائر، وقد حررت من طرف القناصل الفرنسيين المعتمدين بالجزائر لحكومتهم وللغرفة التجارية لمرسيليا، وملكتب الصحة الذي كان يحاط علما، باستمرار، أسبوعيا أو شهريا، بالوضع الصحي السائد بالجزائر.

1-الأرشيف الوطني بمدينة باريس

- Archives Nationales de Paris (A.N.P)

2-المكتبة الوطنية بمدينة باريس

- Bibliothèque Nationale de Paris (B.N.P)

3-أرشيف ماوراء البحر بأكس أن بروفانس

Archives d'Outre Mer Aix-En Provence A.O.M Microfilms

- GGA Gouvernement Général Algérien
 - o Série 3Q
 - o Série S
 - o Série T
 - o Série u/1 u (Médecins de colonisation)
 - o Série y/1y

4-مكتبة معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي بأكس أن

بروفانس

- Bibliothèque de l'Institut de recherche et d'études sur le monde Arabe et Musulman (I.R.E.M.A.M).

5- مكتبة أكس أن بروفانس

- Médiathèque de la maison de la méditerranée des sciences et de l'homme (M.M.S.H) Aix En Provence

6-أرشيف الغرفة التجارية بمارسيليا

Archives de la Chambre de Commerce de Marseille (A.Ch.C.M)

- Archive de la chambre de Commerce de Marseille.
- A.Ch.C.M: Série G. 12à 16: Correspondance du Capitaine du Lazaret de Marseille concernant les quarantaines des Pèlerins Algériens.
- A.Ch.C.M: Série L III. 1331: Pestes en Algérie.
- A.Ch.C.M: Série L III: 253: Pestes en Algérie
- A.Ch.C.M: Série G.11-16. Santé publique (b.33, 35, 37, 42, 49, 51).

- Rapport sur la Transmission de la peste et de la Fièvre Jaune. présenté à la société Académique de Médecine de Marseille Mars 1845.

2-الأرشيف الجهوي بعمالة مصب الرون بمارسيليا

Archives Départementales des Bouches du Rhône à Marseille (A.D.B.R).

- Correspondance des Consultes Français à Alger à l'Intendance Sanitaire de Marseille: Série 200.E.
- Lettres du 1^{er}Fev/26 Mars/15 Avril/ 17 Juin/ 03 Août 1825: Santé parfaite dans le Royaume.
- Lettres des années 1826-1827-1828-1829: Santé publique parfaite dans le Royaume.
- A.D.B.R: P.V du chirurgien du Bureau de Santé d'Alger du 14 Nov.1830.
- A.D.B.R: Série 200E. 801-811: Mouvements des Quarantaines.
- Conseil de Santé du 30/11/1831: Choléra Morbus.
- A.D.B.R: I.S.M. Choléra Morbus à Mers-El-Kebir/Mostaganem Mascara: Lettres de Nov.1834.
- A.D.B.R: Lettre datée: Dec.1834: Le Choléra a gagné l'Ouest.
- A.D.B.R: Lettre du 2 Mars 1848: Santé publique Bonne à Oran et Environs.
- Série 200 E.456: Mesures Sanitaires contre le Choléra Morbus.
- Série 200 E.997: Extraits des patentes de Santé (1807-1850).
- Série 200 E.470: Quarantaines Imposées aux Bateaux venant d'Alger/ Purifications aux Lazarets.
- Lettre du 04/06/1851: Choléra Asiatique Morbus à Tlemcen.
- Choléra à Oran: Lettre du 14/06/1851.
- Série 200 E.778: Laines d'Alger en Quarantaine au Lazaret du Frioul à Marseille.
- Lettre du 28/09/1860: Epidémie de Choléra à l'Hôpital du Dey.
- Lettre du 08/06/1867: Quarantaines obligatoires.
- Lettre du 24/09/1867: Retour du Choléra.
- Lettres datées en 1873-1875: Choléra e Syrie et Italie/Algérie contaminée.
- A.D.B.R: Série 200 E.976: Rapports des Médecins: Fièvre Jaune. (1758-1870).
- A.D.B.R: Série 200 E.978-993: Rapports des Médecins attachés au Service Sanitaire (1733-1826).
- A.D.B.R: Rapport sur la Santé des Algériens.
- A.D.B.R: Série 200 E.976: Fièvre Jaune en Algérie (1758-1870).
- Série 200 E.977: Maladies contagieuses (1797-1848).
- Série 200 E.454: Rhume meurtrier à Alger 1743.
- Série 200 E.455. Choléra: 1824-1849.
- Lettre du Président du Conseil de Santé d'Oran à l'I.S.M. en date du 22/05/1831. Le Lazaret de Bab-Azzoun